

الأمثال في القرآن الكريم

(74) وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدل على أنّ النفاق بورة الخطر، وأنّهم يشكلون خطورة جسيمة على المجتمع الإسلامي. وقد مثل بمثلين يوقفنا على طبيعة نواياهم الخبيثة وما يبطنون من الكفر. بدأ كلامه سبحانه في حقهم بأنّ المنافقين هم الذين يبطنون الكفر ويتظاهرون بالإيمان (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَزَّاهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِيهِمْ أُولَٰئِكَ يَكْفُرُونَ) ثمّ إنّه سبحانه يردّ عليهم، بقوله: (إِنَّهُمْ يَخْتَصِبُونَ فِي غُيُوبِهِمْ وَيَمُدُّونَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) والمراد أنّه سبحانه يجازيهم على استهزائهم. ثمّ وصفهم بقوله: (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوَا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)، أي أخذوا الضلالة وتركوا الهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، فلم يكونوا رابحين في هذه التجارة والاستبدال، ثمّ وصفهم بالتمثيل الآتى: نفترض أنّ أحداً، ضلّ في البداء وسط ظلام دامس وأراد أن يقطع طريقه دون أن يتخبّط فيه، ولا يمكن أن يهتدي - والحال هذه - إلاّ بإيقاد النار ليمشي على ضوءها ونورها ويتجنب المزالق الخطيرة، وما أن أوقد النار حتى باغته ريح عاصفة أطفأت ما أوقده، فعاد إلى حيرته الأولى. فحال المنافقين كحال هذا الرجل حيث إنّهم آمنوا بادىء الأمر واستناروا بنور الإيمان ومشوا في ضوءه، لكنّهم استبدلوا الإيمان بالكفر فعصّبهم ظلام الكفر لا يهتدون سبيلاً. هذا على القول بأنّ المنافقين كانوا مؤمنين ثمّ عدلوا إلى الكفر، وأمّا على